

المزهر في علوم اللغة وأنواعها

هذا القريض - كما قال المخزومي لعبد الملك بن مروان وقد لقيه في طريق الحج بعد ما أنكره وكرهه فقال : بئست التحية من ابن العم على الذئبي - وهذا لعمري بئست تحية الغريب من القاطنين ! ولؤؤمَت هَدِيَّة الوافد من المقيمين ! وقد كان حقَّ الغريب أن يكثر قليله ويسدَّ دَرِيْفَه ويثبَّت زَلَلَه ويُعَار من معالي الصفات ما يُؤنس عُربته ويصدق مخيلته ويعلم أن قد حلَّ على أشباه القعقاع بن شور الذين لا يَشْقَى بهم جليس ولا يذُمُّ دخلتهم أنيس ولا يزورهم نازح الدار إلا سَلا عن وَطْنه ولا يسكن إلى قريبهم شاكٍ لندبِ وَه الحطِّ إلا صلح ما بينه وبين زَمَنه إلى أن يبدوا عن تباينه ويجتثوا عما وراء ظهره يأخذوا بعادة أهل الأثر ويحملوا نفوسهم معه على ما في الجواب من الغرر . على أن هذا الطارئ عليهم رجلٌ كان أَرَبه من العلم ما فيه حظٌّ نَفْسَه وتهذيب خلائقه والاقتداءُ بهذه الآداب الزاكية على تقويم أودِه والاستعانة بقليل هذه الحكم المصلحة على إصلاح فكرهم خدوماً بالعلم لا خادماً ومتبوعاً بمُلَاحِ غرائب الآداب لا نابعاً وعلى أنه لو كان قد احتبى للجدال وركب للنزال وتحدَّى بعلمه تحدِّي المعجز وتعرَّض لكافَّة العلماء تعرَّض الواثق المتحرِّز لما كان في غروب كلماته من حوشي اللغة عن فهمه ما يدل على قصر باعه وقلة متاعه .

ويا عجباً للفراغ ! كيف سوَّغ لهذا المغتدر أن يجاري بحلَّاق درعه تقسِّم أفكاره يوكيف أنساه اجتماعُ شَمْلِه بعدَ دياره يوكيف أذهله حضور أحبَّته عن مَغِيب أفلاذ كَبِدِ يوكيف طرقت ناظره سكرة الحطِّ عن تضرُّر ما يجنُّ خَلَدِ يوكيف لم يدر ما لي من أَلْحاظٍ مقسِّمة وطنون مَرَجِّمة لم والتفات إلى ولدٍ ينتهب الشوق إليه تصبِّري وينبِّه الإشفاق عليه حدَّ يوكيف لم يخطرُ بباله أني قريبٌ عَهْدٍ بمحلٍّ عزٍّ وثروة كانا أوحشاني من الأكفاء وخلصاني من الأعداء والأصدقاء .

وقد تكلفت الإجابة عما تضمَّنَتْه الأبيات انقياداً لمُرادك ومُقْتَسِراً رأيي على إسعادك أجزُّ أقلامي جرَّاءً وهنَّ ثواكل وأنبيَّه قرائحي وهنَّ في غمرات الهموم ذَوَاهل توفيقِي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

قال هذا السائل : إن المسؤول دَرُوك لتلك الفَتْوَى يومستحقُّ بها الرتبة العليا . فقال شيخ من شيوخنا - عزفته لنا الأيامُ عن كل فات فوفَّات وزادت وعوَّضَتْناها من كل مُخْتَرَم فأحسنَت وأفادت وكان لحظَّ الأبيات قبلي ولأَم مشكله في التعجب منها مشكلي : أن (دَرُوكاً) هاهنا لا يجوزُ لأن فعولاً لا يكون من أفعال

